قوله : 61 - { لن نصبر على طعام واحد } تضجر منهم بما صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب والعيش المستلذ ونزوع إلى ما ألفوه قبل ذلك من خشونة العيش : .

( إن الشقي بالشقاء مولع ... لا يملك الرد له له إذا أتى ) .

ويحتمل أن لا يكون هذا منهم تشوقا إلى ما كانوا فيه ونظرا لما صاروا إليه من العيشة الرافهة بل هو باب من تعنتهم وشعبة من شعب تعجرفهم كما هو دأبهم وهيجراهم في غالب ما قص علينا من أخبارهم وقال الحسن البصري : إنهم كانوا أهل كراث وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم : أي أصلهم عكر السوء واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم فقالوا : { لن نصبر على طعام واحد } والمراد بالطعام الواحد هو المن والسلوى وهما وإن كانا طعامين لكن لما كانوا يأكلون أحدهما بالآخر جعلوهما طعاما واحدا وقيل : لتكررهما في كل يوم وعدم وجود غيرهما معهما ولا تبدلة بهما ومن في قوله : { مما تنبت } تخرج قال الأخفش زائدة وخالفه سيبويه لكونهما لا تزاد في الكلام الموجب قال النحاس : وإنما دعا الأخفش إلى هذا لأنه لم يجد مفعولا ليخرج فأراد أن يجعل ما مفعولا والأولى أن يكون المفعول محذوفا دل عليه سياق الكلام : أي تخرج لنا مأكولا وقوله : { من بقلها } بدل من ما بإعادة الحرف والبقل : كل نبات ليس له ساق والشجر : ما له ساق قال في الكشاف : البقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها انتهى والقثاء بكسر القاف وفتحها والأولى قراءة الجمهور والثانية قراءة يحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وهو معروف والفوم : قيل : هو الثوم وقد قرأه ابن مسعود بالثاء وروي نحو ذلك عن ابن عباس وقيل : الفوم الحنطة وإليه ذهب أكثر المفسرين كما قال القرطبي وقد رجح هذا ابن النحاس وقال الجوهري : الفوم الحنطة وممن قال بهذا الزجاج والأخفش وأنشد : .

( قد كنت أحسبني كأغنى واحد ... ترك المدينة عن زراعة فوم ) .

وقال بالقول الأول الكسائي والنضر بن شميل ومنه قول أمية بن أبي الصلت : .

( كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة ... فيها الفراديس والفومات والبصل ) .

أي الثوم وقال حسان : .

( وأنتم أناس لئام الأصول ... طعامكم الفوم والحوقل ) .

يعني الثوم والبصل وقيل : الفوم : السنبلة وقيل : الحمص وقيل : الفوم كل حب يخبز والعدس والبصل معروفان والاستبدال : وضع الشيء موضع الآخر { وأدنى } قال الزجاج : إنه

مأخوذ من الدنو : أي القرب والمراد : أتضعون هذه الأشياء التي هي دون موضع المن والسلوى اللذين هما خير منها من جهة الاستلذاذ والوصول من عند ا بغير واسطة أحد من خلقه والحل الذي لا تطرقه الشبهة وعدم الكلفة بالسعي له والتعب في تحصيله وقوله : { اهبطوا مصرا } أي انزلوا وقد تقدم معنى الهبوط وظاهر هذا أن ا أذن لهم بدخول مصر وقيل : إن الأمر للتعجيز لأنهم كانوا في التيه فهو مثل قوله تعالى : { كونوا حجارة أو حديدا } وصرف مصر هنا مع اجتماع العلمية والتأنيث لأنه ثلاثي ساكن الوسط وهو يجوز صرفه مع حصول السببين وبه قال الأخفش والكسائي وقال الخليل وسيبويه : إن ذلك لا يجوز وقالا : إنه لا علمية هنا لأنه أراد مصرا من الأمصار ولم يرد المدينة المعروفة وهو خلاف الظاهر وقرأ الحسن وأبان بن تغلب وطلحة بن مصرف بترك التنوين وهو كذلك في مصحف أبي وابن مسعود ومعنى ضرب الذلة والمسكنة إلزامهم بذلك والقضاء به عليهم قضاء مستمرا لا يفارقهم ولا ينفصل عنهم مع دلالته على أن ذلك مشتمل عليهم اشتمال القباب على من فيها ومنه قول الفرزدق يهجو جريرا : .

( ضربت عليك العنكبوت بوزنها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل ) .

وهو ضرب من الهجاء بليغ كما أنه إذا استعمل في المديح كان في منزلة رفيعة ومنه قول الشاعر : .

( إن المروءة والشجاعة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج ) .

وهذا الخبر الذي أخبرنا ا به هو معلوم في جميع الأزمنة فإن اليهود أقماهم ا [ أذل ] الفرق وأشدهم مسكنة وأكثرهم تصاغرا لم ينتظم لهم جمع ولا خفقت على رؤوسهم راية ولا ثبتت لهم ولاية بل ما زالوا عبيد العصى في كل زمن وطروقة كل فحل في كل عصر ومن تمسك منهم بنصيب من المال وإن بالغ في الكثرة أي مبلغ فهو متظاهر بالفقر متردد بأثواب المسكنة ليدفع عن نفسه أطماع الطامعين في ماله إما بحق كتوفير ما عليه من الجزية أو بباطل كما يفعله كثير من الظلمة من [ التجرؤ ] على ا بظلم من لا يستطيع الدفع عن نفسه ومعنى { باءوا } رجعوا يقال باء بكذا : أي رجع به وباء إلى المباءة : أي رجع إلى المنزل والبواء : الرجوع ويقال : هم في هذا الأمر بواء : أي سواء : يرجعون فيه إلى معنى واحد وباء فلان بفلان : إذا كان حقيقيا بأن يقبل به لمساواته له ومنه قول الشاعر : .

( ألا تنتهي عنا ملوك وتتقي ... محاربنا لا يبوء الدم بالدم ) .

والمراد في الآية أنهم رجعوا بغضب من ا أو صاروا أحقاء بغضبه وقد تقدم تفسير الغضب والإشارة بقوله : { وذلك } إلى ما تقدم من حديث الذلة وما بعده بسبب كفرهم با وقتلهم لأنبيائه بغير حق يحق عليهم اتباعه والعمل به ولم يخرج هذا مخرج التقييد حتى يقال : إنه لا يكون قتل الأنبياء بحق في حال من الأحوال لمكان العصمة بل المراد نعي هذا الأمر عليهم وتعظيمه وأنه ظلم بحت في نفس الأمر ويمكن أن يقال أنه ليس بحق في اعتقادهم الباطل لأن

الأنبياء صلوات ا عليهم وسلامه لم يعارضوهم في مال ولا جاه بل أرشدوهم إلى مصالح الدين والدنيا كما كان من شعيبا وزكريا يحيى فإنهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون أنهم ظالمون وتكرير الإشارة لقصد التأكيد وتعظيم الأمر عليهم وتهويله ومجموع ما بعد الإشارة الأولى والإشارة الثانية هو السبب لضرب الذلة وما بعده وقيل : يجوز أن تكون الإشارة الثانية إلى الكفر والقتل فيكون ما بعدها سببا لسبب وهو بعيد جدا والاعتداء تجاوز الحد في كل شيء .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : { وإذ استسقى موسى لقومه } قال : ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار فيها اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها وأخرج عبد بن حميد عن قتادة ومجاهد وابن أبي حاتم عن جويبر نحو ذلك وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { ولا تعثوا في الأرض } قال : لا تسعوا في الأرض فسادا وأخرج ابن جرير عن أبي العالية مثله وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك قال : يعني ولا تمشوا بالمعاصي وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة قال : لا تسيروا في الأرض مفسدين وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله : { لن نصبر على طعام واحد } قال : المن والسلوى استبدلوا به البقل وما حكى معه وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وفومها } قال : الخبز وفي لفظ : البر وفي لفظ : الحنطة وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال : الفوم الثوم وأخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس مثله وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن ابن مسعود أنه قرأ وثومها وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه قال : قراءتي قراءة زيد وأنا آخذ ببضعة عشر حرفا من قراءة ابن مسعود هذا أحدها من بقلها وقثائها وثومها وأخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله : { الذي هو أدنى } قال : أردأ وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله : { اهبطوا مصرا } قال : مصرا من الأمصار وأخرج ابن جرير عن أبي العالية : أنه مصر فرعون وأخرج نحوه ابن أبي داود وابن الأنباري عن الأعمش وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وضربت عليهم الذلة } قال : هم أصحاب الجزية وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة والحسن قال : ضربت عليهم الذلة والمسكنة : أي يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال : المسكنة الفاقة وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله : { وباءوا بغضب من ا } قال : استحقوا الغضب من ا وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله : { وباءوا } قال : انقلبوا وأخرج أبو داود الطيالسي وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلثمائة نبي ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار